مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري المجلد 19/العدد01 (2019)ص69-78

الرواية التاريخية التونسية

Tunisian historical novel

سامية بوعجاجة

جامعة محمد خيضر – بسكرة –/samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2018/06/18تاريخ القبول: 2018/07/26 تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص:

تسلط الدراسة الضوء على الرواية التاريخية التونسية ، إذ بدأ الاهتمام مبكرا بالرواية ؛ وتحديدا منذ بدايات القرن العشرين ، وتنوعت موضوعاتها من سياسية واجتماعية وتاريخية ، هذه الأخيرة ، أخذت حيزا هاما في روايات الروائيين التونسيين ، فكان التاريخ بأحداثه وشخوصه وأجوائه، وملامحه الفنية حاضرا بقوة . من هنا حاولت التعريف بالرواية التاريخية ، وإعطاء نبذة مقتضبة عن الرواية التاريخية التونسية ومسارها وأهم أعلامها ، وأشهر رواياتهم وصلتها بالأحداث التاريخية التي طبعت تاريخ تونس في أطواره المتباينة والمختلفة.

الكلمات المفتاحية : الرواية، الرواية التونسية، التاريخ، الشخصية، الحدث.

Abstract:

The study sheds light on the Tunisian historical novel, as interest in the novel began early; Specifically since the beginning of the twentieth century, and its topics varied from political, social and historical, the latter took an important place in the novels of Tunisian novelists, so history, with its events, characters, atmosphere, and artistic features, was strongly present. From here, I tried to introduce the historical novel, and to give a brief overview of the Tunisian historical novel, its path and its most important figures, and its most famous novels and their connection to the historical events that marked the history of Tunisia in its different and different phases.

Keywords :

The novel, the Tunisian novel, the history, the character, the event.

المؤلف المرسل: بوعجاجة سامية

الاميل:samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

الملخص:

يعمد كثير من الروائيين إلى التاريخ بأحداثه و شخوصه ، فيستدعون الماضي، و يستحضرون وقائعه، رغبة منهم في بعثه من جديد، والنظر إليه من زوايا فنية تخييلية " فالاستناد للتاريخ يتيح للروائي الإفادة من روافد متنوعة لإغناء عوالمه السردية ، و يدفعه لخوض غمار التجريب وتطوير أدواته الفنية وتجذير الوعي بفكرة الكتابة ككل "[1]

فالتاريخ يرصد ظاهرة أو حادثة ما في مكان وزمن محدد ، فيسلط الضوء عليها، لكشفها والوقوف على حقائقها؛ في حين الرواية عمل فني " و الروائي ينظر بإحساسه الفني إلى التاريخ على أنه المادة التي يستطيع عبرها تصوير رؤيته للواقع، و التعبير عن تجربة من تجاربه. و هو بذلك لا يكتب التاريخ بل يقيم معالم له"[2]

1/ مفهوم الرواية التاريخية:

يعرفها لوكاتش بأنها :" رواية تقرب الماضي إلينا و تسمح لنا بأن نعيش وجوده الفعلي و الحقيقي، وبدون علاقة بالحاضر محسوسة فإن تصوير التاريخ مستحيل" [3]

كما أن الرواية تلجأ إلى التاريخ، لتفيد من تراثه، و أحداثه في نسج نص جديد،لا يخلو من وقائع التاريخ وملابساته، معطرة بخيال سردي ، و لذلك عرف بعضهم الرواية فقال : " بأنها قصة خيالية ذات طابع تاريخي عميق " [4]

والروائي يتخذ من التاريخ مادة لعمله السردي، رغبة في كشف الحقيقة و التعريف بها بين جمهور قرائه و خاصة فئة الشباب، و قد يلجأ إلى التاريخ ليخلق نصا موازيا ، يحافظ فيه على شخوصه وأحداثه برؤية فنية جديدة.

وقد يقدم رواية موازية ، فيخلخل الأحداث ، و يزوّر الحقائق ، قصد إنجاز نص فريد، و كما يقول عبد الملك مرتاض" وكانت المشكلة كلها تمثل في: هل يكتب الروائي أدبا، أم يكتب تاريخا؟ و إذا كتب الأدب فكيف سيكون موقفه من التاريخ ؟ أو قل: كيف سيكون موقف

التاريخ منه ؟ و إذا كتب تاريخا فهل هو يمتلك الثقافة التاريخية ، و المنهج التاريخي لتسجيل أحداث المجتمع ؟ " [5]

إذن هذا هو الإشكال الكبير، هو مدى قدرة الروائي على صوغ التاريخ صياغة فنية ، دون أن يشوّه حقائقه أو يزوّر أحداثه ، أو يرسم ملامح شخوصه على غير الصورة التي كانوا عليه في واقع الأمر؟

2/ الرواية التونسية :

ظهرت الرواية التونسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي و بداية القرن العشرين، متأثرة بعدد من الكتابات الغربية و العربية، و على رأسها تولتسوي وألكسندر دوما ،و الأديب اللبناني جورجي زيدان ، و قد مرت في تطورها بمراحل ثلاث و هي :

أ- مرحلة المحاكاة و الاقتباس : إذ تأثر الأدباء بالروايات الغربية و خاصة منها الفرنسية ، و عمدوا إلى ترجمة بعض الأعمال الروائية من الفرنسية إلى اللغة العربية مثل رواية "خاتم عقد بني سراج" لرينيه دي شاتو بريان

Rene de châteaubriand المترجمة من طرف محمد المشيرقي (1885-1946) [6]

وفي نفس الفترة ترجم "إبراهيم بن شعبان " (1892-1930) رواية من شريط سينمائي عنوانها " فظائع المقامرة " سنة 1910 " [7]

ب - مرحلة تشكل الوعي الإبداعي : برزت أسماء أسهمت في النهوض بالعمل الإبداعي عامة و الروائي خاصة، تجلّى ذلك في أعمال الروائي محمود المسعدي ، خاصة روايته الشهيرة "حدّث أبو هريرة و قال "و التي صدرت في سنة 1944[8]

ج - مرحلة ما بعد الاستقلال : وهذه المرحلة تعد الانطلاقة الفعلية للرواية التونسية بمختلف أنماطها (واقعية ، اجتماعية، ذهنية وتاريخية..)

" و لعل تطور حركة النشر وظهور ناشرين خواص من أهم العوامل التي ساعدت جيل الاستقلال على إبراز إنتاجه"[9] .

و تعد رواية "هيفاء و سراج الليل " لصالح السويسي القيرواني (1871-1941) أوّل رواية تونسية (سنة 1906) ألفها لتحقيق هدفين اثنين هما :

1- تربوي: يدعو الشباب إلى التحلي بالطموح لتحقيق المعالي [10]

2- هدف ديني: يدعو إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بين المسلمين . و هي رواية اجتماعية انتقادية نشرت على صفحات مجلة خير الدين تباعا [11]

3/ الحدث التاريخي في الرواية :

تركز الرواية التاريخية على أحداث التاريخ، و شخصياته، و المراحل الزمنية التي وقعت فيها الأحداث ،فتتخذ منه مطية، و تجعله مادة لإبداع نص روائي ، يمزج بين التاريخ والخيال ، و"تهدف الرواية التاريخية إلى تصوير عهد من العهود أو حدث من الأحداث الضخام بأسلوب روائي سائغ مبني على معطيات التاريخ، و لكن من غير تقيد بها أو التزام لها في كثير من الأحيان" [12]

من أشهر الروائيين التونسيين الذين خاضوا تجربة السرد التاريخي نجد:

3/1 – محمد العروسي المطوي : (1920- 2005 م) يعد الأديب المطوي رائدا للرواية الواقعية و التاريخية التونسية عقب مرحلة الاستقلال ، فقد صور مرحلة الاحتلال الفرنسي لتونس، و نضال المواطنين التونسيين و خاصة المناضلين ضد الاحتلال ، لتحرير بلادهم من الظلم و الطغيان .

و في هذا الصدد أصدر روايات ثلاث و هي : " ومن الضحايا " 1956 و " حليمة" 1964 و " التوت المر " 1967 " و كلها مستوحاة من أحداث الحركة الوطنية و الصراع ضد الاستعمار الفرنسي . و قد صدرت بعد الاستقلال وبذلك تصف مرحلة انقضت تاريخيا و

تمجد أعمال شخصيات تحولوا من النضال إلى السلطة ، فلا يمكن أن نعتبرها تحريضية و لا نضالية بل هي شهادة قد تعتمد وثيقة لمعرفة الأجواء التي زامنت الحركة الوطنية " [13]

ويلاحظ أن الكاتب غلّب عنصر التوثيق التاريخي على حساب البناء الفني " إذ جاء هذا النوع تقليدي الشكل، تقريري السرد .ومع ذلك لا يزال يحظى بمكانة في البرنامج المدرسية كأنه مقصود لتلقين الناشئة دروسا في الوطنية "[14]

3/2 – البشير خريف : (1917 –1983): تتجلى تجربته في عملين اثنين و هما :

" برق الليل" 1961 و "بلارة " أما الموضوع الأساس فقد استقاه من " المرحلة التاريخية المتصلة بالصراع الاسباني التركي على تونس وانقراض الدولة الحفصية "[15]

رواية "برق الليل" تدور أحداثها في أواخر عهد الدولة الحفصية ، أما بطل الرواية فهو شخصية زنجية "برق الليل" "وهي مستوحاة من كتاب ابن أبي دينار الشهير "المؤنس في أخبار تونس " [16]

في هذه الرواية مزج الكاتب بين الأحداث التاريخية وأحداث متخيلة "لقد صورت رواية برق الليل مظاهر العبودية المكبلة للمجتمع التونسي أيام الحسن الحفصي ووقفت على اهتزاز أركان البلاد بقدوم خير الدين بربروس واستنجاد السلطان بالنصارى.

وقد أفاض الكاتب في التنويه بحرص خير الدين على نشر الأمن بتونس وضمها إلى الخلافة العثمانية، وحلّل عوامل الاحتلال الاسباني ، وصوّر فظاعة تنكيل جنود شارل الخامس بالأهالي. وبذلك ألمّت الرواية بالأحداث السياسية التي عصفت بالبلاد ورصدت عوامل انبثاق الوعي في حياة الأفراد وتوقهم إلى الحرية رصدا فتح عالمها على فضاء رحب" [17]

أما رواية (بلارة) ألفها صاحبها في أواخر الخمسينات من القرن العشرين،وهي الأخرى رواية تاريخية ، جرت أحداثها في العهد الحفصي " لقد درس البشير خريّف أهم المراجع

المتعلقة بالعهد الحفصي وجمع عدة وثائق وزار مواطن الأحداث الخطيرة التّي وقعت بالبلاد في عهد احميدة الحفصي ووضع تخطيطا دقيقا للرواية"[18]

وتتمحور هذه الرواية حول شخصية ثلاث نساء أميرات أثرّن في الحياة التونسية في تلك الفترة وهن :(بلارة) ابنة الأمير الحفصي حميدة (أمير البلاد التونسية)

وثانيهما (عيشة) ابنة حيدر باشا(حاكم القيروان التركي) وثالثتهما وهي (مليكة)ابنة القلج علي (القائد البحري ووالي الجزائر) الذي قاد حملة على تونس لتخليصها من الأسبان.

يتحدث البشير في إحدى الصحف عن الصلة بين التاريخ والقصة، فيقول:" أعتقد أن هناك نوعين من الصلة بين القصة والتاريخ، فأحيانا يعمد القاص إلى اتخاذ التاريخ كهدف في القصة ، وأحيانا أخرى يتخذ التاريخ كإطار للقصة ، وبذلك يستطيع أن يقدم الأحداث ويستغل تتابعها استغلالا فنيا "[19]

وكثير من النقاد التونسيين يعدون البشير خريف الأب الحقيقي للرواية التونسية ،خاصة من خلال روايته الشهيرة

" الدقلة في عراجينها" وقد كتبها باللهجة الدارجة التونسية، مركزا على الحياة الاجتماعية في منطقة الجريد(الجنوب) التونسي

3/3 ـ حسنين بن عمو : هو كاتب رائد في مجال الرواية التاريخية ، يبحث في التاريخ ، ويستحضر شخوصه، ويتنقل بين الأطوار الزمنية،والأمكنة التاريخية ، متابعا الأحداث ،ومتفاعلا مع الشخصيات.

من أشهر رواياته التاريخية نجد : (المملوك)1985 ، و(باب العلوج)1986 ، و(الموريسكية)1989 و(الأندلسية)1990 ،و(الغروب الخالد)2007 ،و(رحمانة)2001 ،و(باب الفلة)2005

وآخر رواية صدرت له هي(عام الفزوع 1864) ،وهي في الأصل سيناريو لفيلم سينمائي حول شخصية (علي بن غذاهم) ثم صارت رواية تاريخية ،شرع في كتابتها سنة2012

وللكاتب هوس وشغف بتاريخ بلاده ، فالروايات التي سبق ذكرها كلها مستقاة من التاريخ .فرواية"باب العلوج"تؤرخ لفترة1415 ـ 1450 " أي بداية الدولة الحفصية التي كانت مهابة لدى أوربا ،وكانت تونس تمثل مركز القوة في تلك الفترة " [20]

أما رواية"رحمانة" تؤرخ للفترة الممتدة من1535 ـ 1550 ،وفيها يبرز ملامح التدخل الأجنبي في الشؤون السياسية للدولة التونسية. الرواية الثالثة"باب الفلة" توثق للفترة 1560 ـ 1574 "وما رافق نهاية الدولة الحفصية من أحداث وبداية الوجود الاسباني في تونس " [21]

ويلاحظ في هذه الروايات تركيزه على حقبة الدولة الحفصية في تونس . في حين في روايته"عام الفزوع 1864" استحضر شخصية تونسية ثائرة وهو " علي بن غذاهم"

ففي هذه الرواية التي تقع في حوالي589ص ،يركز على ثورة بن غذاهم ضد ظلم باي تونس محمد الصادق ،وأحداثها وقعت قبيل الاحتلال الفرنسي لتونس .

أما مضمونها ، فيتمحور حول "ثورة قبائل ماجر والهمامة و الفراشيش على سلطة الباي ، وما رافقها من أحداث تاريخية تتعلق بفساد الحاكم وحاشيته مما تسبب في تدهور الوضع الاقتصادي بالبلاد التونسية ولم يجد أصحاب السلطة من حل للخروج من الأزمة المالية آنذاك سوى مضاعفة قيمة المجبى على الرعية التي كانت تشكو من فقر مدقع،مما عقد الوضع وساهم في احتقان اجتماعي أسفر عن ثورة بن غذاهم "[22]

ويرى الكاتب أن السارد عليه أن يتسلح بالتخيل ، حتى يتحرر من أسر التوثيق ، يقول:" الخيال أو التخييل الذكي ينقل الكتابة السردية من قيود الأحداث التاريخية إلى فضاء واسع مفتوح على الماضي و الحاضر والمستقبل"[23]

3/4 ـ عبد القادر بالحاج نصر :

صدرت له حوالي 12 رواية ، وتنوعت بين الواقعية مثل : رواية"الإثم" وروايات تاريخية. من أشهرها "الزيتون لا يموت" التي استوحى موضوعها من أحداث 9أفريل 1938 . ورواية"جنان بنت الري" التي تدور أحداثها في عهد المشير أحمد باشا في القرن التاسع عشر[24].

3/5 ـ البشير بن سلامة :

نشر أربع روايات من النوع التاريخي ، وجلها تدور أحداثها في العهد الحسيني ،عناوينها (عائشة)1982 و(عادل)1991 و(علي)1995 و(الناصر)1998 [25]

نخلص أن الرواية التونسية عند عدد لا يستهان به من الروائيين التونسيين استفادت من أحداث التاريخ ، وتمثلت وقائعه وشخوصه فاستحضرتها في نصوصها ، وما هذا الذي عرضناه إلا عينة وجزء من روايات كثيرة تخصصت في وقائع التاريخ.

واستطاع بعضهم الارتقاء بالمستوى الفني للرواية ،والسمو بها من التوثيق التاريخي إلى التخييل السرد

الهوامـــش :

1/جعفر العقيلي ، الرواية التاريخية..العلاقة بين الفن والواقع ،مجلة ثقافات الالكترونية.

الموقع: thaqafat.com/2018/5/88400

تاريخ الدخول:2018/10/13

2/حسن سالم هندي إسماعيل ،الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث(دراسة في البنية السردية1939 ـ1967)ط1،دار الحامد ،عمان،1435هـ،2014 ،ص18

3/إبراهيم علي أبو تحفة ، الرواية التاريخية عند إبراهيم نصر الله(زمن الخيول البيضاء وقناديل ملك الجليل)نموذجا، دراسة تحليلية نقدية،إشراف:عادل الأسطة،أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ،كلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح ،نابلس، فلسطين،ص 15

4/محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية ـ دراسة ـ منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق،2002م،ص101

5/عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)عالم المعرفة، الكويت ،1998،ص74

6/الرواية التونسية ، الموسوعةالتونسية

الرواية– التونسية /www.mawsouaa.tn/wikiالموقع:

7/ نفسه ، السابق

8/ ينظر: نفسه

9/ تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر،أعداد مجموعة من الباحثين ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون، بيت الحكمة ، قرطاج ،1993 ،ص137

10/الرواية التونسية ، الموسوعةالتونسية ، موقع سابق

11/ ينظر:محمد الفاضل ابن عاشور ، الحركة الأدبية والفكرية في تونس(في القرنين 13-14هـ/19-20) المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة،قرطاج،2009 ،ص345

12/أحمد ممو، المقاربة التونسية للرواية التاريخية،نادي القصة (جمعية في خدمة الأدب)

www.kissas.org/indexphp ?option-comالموقع:

13/تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، مرجع سابق ،ص139

14/ نفسه ،ص139

15/أحمد ممو، المقاربة التونسية ..،موقع سابق

16/عبد الكريم قابوس،مقال: البشير خريف ماركيز تونس الذي تقرأ الأمهات قصصه في سقائف البيوت، صحيفة العرب، السبت:2017/9/9

الموقع:https ://alarab.co.uk

17/ البشير خريف ،الموسوعةالتونسية المفتوحة

الموقع:www.mawsouaa.tn.

18/نفسه

19/ أحمد ممو، المقاربة التونسية ، السابق

20/صدور رواية عام الفزوع 1864 للروائي التونسي حسنين بن عمو،مجلة البوابة(أدب وثقافة)،نشر28أبريل2018

الموقع:https://www.albawaba.com/ar/1123178

21/ نفسه

22/ نفسه

23/ نفسه

24/الرواية التونسية ، الموسوعة التونسية ، موقع سابق

25/ نفسه